مهرجان اللومانتيه

خيمة (طريق الشعب) للفنان محمود صبري هذا العام

داود أمين

اليوم الثاني من المهرجان

ما أن أنجزنا تناول فطورنا داخل الفندق، حتى توجهنا لمحطة المترو القريبة، فالطريق أصبح سالكاً ومعروفاً لنا جميعاً، كما أن بائع التذاكر فتح نافذته اليوم، وهيأ لنا عبوراً آمناً وشرعياً نحوالمترو، الذي أقلنا لمحطة (لابورجيه)، حيث كان هناك مئات، وربما ألوف الفرنسيين، يصطفون في نسق جميل، داخل ممرات أعدت لتنظيم ركوب باصات المهرجان، وقفنا مثل غيرنا في الطابور الطويل، حتى جاءت فرصتنا في الركوب، وعند باب المهرجان إشترى من لم يشترِ بطاقته بالأمس، والسعر واحد للأيام الثلاثة أو ليوم واحد. دخلت ببطاقتي الصحفية، وفي الطريق نحو خيمة الحزب، كانت الموسيقى القادمة من مختلف الآلات، والمنتمية لكل أرجاء العالم المختلفة، تصدح في جميع الخيم، ممتزجة بروائح مطابخ كل القارات، وكانت الشعارات واللافتات مرفوعة على إمتداد الطريق، تمجد العدل والسلام، وتطالب بالخبز والكرامة وإيقاف العنف والإرهاب، والنهب الرأسمالي، الزحام كان على أشده، رغم إننا كنا في ساعات الصباح الأولى، ولم يكن الأمر غريباً، على من إعتاد مثلي المشاركة في المهرجان، فاليوم هو السبت، وفيه تكون قمة الفعاليات، وأكثرها قوة وتأثيراً.

ابراهيم الجزائري

وصلنا خيمة طريق الشعب، كان الرفيق التميمي، كما في ألأمس، قد أعدَّ فطوراً للجائعين، أما من سبقنا من الرفيقات والرفاق، فكانوا يحتلون أمكنتهم خلف أكشاك البيع، أبو هدى الثعالبي، آمر سريتنا المقاتلة في كردستان، والذي جمعتني معه، قبل أكثر من ثلاثين عاماً، معارك بطولية ضد السلطة ومرتزقتها، في قرى زاخو والدوسكي وبرواري بالا، يقف خلف موقد الكباب، يتناوب مع رفاقه أبو تغريد وابو أنور والدكتورة رفاه، تغذية الموقد بفحم جديد، وتقليب الأسياخ والبيع، أخي أمير المتأنق، لا أعرف لماذا وكيف؟ بقاطه وربطته، إضطر لخلع سترته والإنخراط في تحضير الزلاطة مع الأخرين، أما ولده ماريو وإبنته موناليزا، فقد كانوا يتنقلون من عمل لآخر، يساعدون من يطلب المساعدة ومن لا يطلبها أيضاً. ريما تواصل البيع، وأبو فرح إلى جوارها يمدها بما ينضج في طاوته من فلافل. بقية الأكشاك تواصل دابها المعهود، ويتبادل الرفاق والرفيقات الأدوار، فعندما تتعب ريما تبادر شادمان أو سلام أو وصفي أو ماريو وغيرهم، فالعمل طوعي ومفتوح لمن يساهم.

الدكتور ذياب الطائي

عند الظهيرة قدم الدكتور ذياب الطائي، محاضرة هامة عن الصحافة اليسارية في العراق، وهي إستعراض لفصول ومحتوى كتابه الأخير، الذي يحمل نفس العنوان، والذي كان يوزع داخل الخيمة، وقد قيّم عدد من الحاضرين موضوعية الباحث، وغنى وجِدة المادة المعروضة في المحاضرة والكتاب.

الرفيق مفيد الجزائري إنشغل عدة ساعات خلف الخيمة، وفي أمكنة أخرى، كما فعل أمس، في إجراء حوارات سياسية، مع حزب تودة، وحزب التقدم والإشتراكية المغربي، وحزب العلمانية والديمقراطية الجزائري، وحزب

الأكثرية الإيراني، وإتحاد اليسار الأوربي، والحزب الشيوعي الفرنسي، وكان الرفيق طه رشيد يرافقه في هذه اللقاءات، كما رافقته والرفيق ابو الفوز، في لقائه مع الحزب الشيوعي الفرنسي.

الرفيق أبو الفوز، الذي ساهم أمس، في تعليق اللافتة الرئيسية التي تحمل إسم صحيفة الحزب، وساعد في لصق وتعليق بوسترات ولوحات رابطة المرأة، إلى جانب ساجدة وسلام وفوزية، وجد عملاً إضافياً جديداً له اليوم، إذ حمل كيساً أسوداً وراح يجمع في أنحاء الخيمة، ما تناثر من ورق وأعقاب سكائر، مفنداً النظرية القائلة بأن الإعلاميين أفندية فقط(وعساها إبخت طه رشيد !) .

شروق وسفانة

المربع الحلوائي

الطبيبتان الفنانتان شروق وسفانة حلوائي، حلتا في الخيمة منذ صباح اليوم، وحين حان وقتهن للتقديم، إعتلين المسرح، وكان الصوت المتمكن والعذب لهن، يعيد إحياء تراث موسيقي خالد، وفلكلورغنائي راسخ في الذاكرة العراقية، رغم الرداءة السائدة، ومحاولة إشاعة الطرب الرخيص. فمن أغنية (يلزارع البزرنكوش) إلى (هذا الحلو كاتلني يعمه) و(عد وانه أعد ونشوف) و(زغيره جنت وإنت زغيرون) و(أشكر بشامه) حتى إنتهين بأغنية (ياطيور الطايرة) التي جعلت الفنان كوكب حمزة (الحاضر اليوم في الخيمة) جعلته يطير كطيوره، وهو يتأكد إن أكثر من اربعين سنة، لا يمكن أن تُلغي، من قلوب وعقول العراقيين، ما هو صادق وأصيل. وأثناء تقديم شروق وسفانة، صعدت إلى المسرح دنيا حلوائي ووصفي حلوائي، ليرقصا مشكلين مربعاً حلوائي الأضلاع والزوايا!

بدء المسيرة

المسيرة النسوية

المسيرة النسائية لرابطة المرأة العراقية، التي بدأت يوم أمس، وطافت بعضاً من شوارع المهرجان، تهيأت اليوم بشكل آخر، فالإستعدادات مختلفة واعداد المشاركات والمشاركين أضعاف يوم أمس، اللافتات والشعارات تقدمت المسيرة والأعلام الملونة الكبيرة، تحملها أكف الأقوياء والمقتدرين، الأزياء العراقية المختلفة إحتضنت أجساد النساء والرجال والشبيبة وحتى الأطفال، هاشميات وعباءات وملابس كردية زاهية وزبونات للرجال، وكان منظر شادمان ومهاباد وموناليزا وغيرهن بالزي الكردي ساحراً، أما أم غائب وأم سلام وعباءاتهن السوداء، فكأنهن أمهاتنا عُدْن من جديد، في حين كانت سلام وفوزية وأم غادة وام سلام وحميدة ورؤيا وساجدة ودنيا، في أبهى أزياء المدن العراقية الوسطى والجنوبية. ومن لم تحظَ بزي شعبي، شاركت بملابسها الإعتيادية، كهدى وفائزة وشقيقتها وأم فرح ولمياء ورابحة وغيرهن، وكانت أصوات الدفوف تتعالى بنقرات الضاربات، وحناجر شروق وسفانة وسلام، تصدح بأغاني الزمن الجميل (ويها يهلنه وإحنه منها وبيها.. بغداد شمعه ومحد يطفيها) وواصلت المسيرة الطواف حول أهم شوارع المهرجان، فكانت تستقبل من قبل الفرنسيين وغيرهم بالتأييد والمساندة، وبرفع شارات النصر والتصفيق.

STOP
A TOUTES LES VIOLENCES
FAITES AUX FEMMES EN IRA
IRAQ WOMENS LEAGUE/W.L

المسيرة

الفنان طالب غالي صعد المسرح، بعد إنتهاء المسيرة النسائية، وراح يداعب أوتار عوده الشجي، وقبل أن يقدم أغانيه، حيا رفيق دربه، الراقد على فراش المرض في دمشق الملتهبة، المطرب الفنان فؤاد سالم، متمنياً له الصحة والشفاء، وحاثاً الجهات الرسمية على رعايته والإهتمام به، وبجميع الفنانين والمبدعين العراقيين . ثم غنى(أبو لنا)أعذب ألحانه متمثلة في (أسأل بالشفايف أسأل يالعيون) و(كلبي عراق أحلى فجر) و(حنّه يبويه رفاكه) وأختتمها بأغنية (ياحزبي ياغالي) وكان تجاوب الجمهور رائعاً، مع الصوت البصري، الذي مازال قوياً ومتماسكاً، رغم تجاوز صاحبه سنواته العشرين !

الفنانة رؤيا غالي

بعد الفنان طالب غالي جاء دور شقيقته الفنانة رؤيا، التي أمسكت العود(مسكة إزلمه !) وراحت تغني(داري أنه داري) ثم (عيني يابعد عيني) وأخيراً (هذا الحلو كاتلني يعمّه) وكانت كأخيها طالب، مستحوذة على إهتمام الجمهور وتفاعله.

الفنانة الواعدة أسيل الخالدي، القادمة مع والديها من الدانمارك، صعدت هي أيضاً مسرح الخيمة، ومع موسيقى مسجلة، غنت بالأنكليزية، أغنية تجلت من خلالها، عذوبة وصفاء صوتها المُبهر، وأكملت وصلتها بأغنية فيروز الشهيرة (علموني).

ولأن الشيوعيين العراقيين كانوا دوماً إلى جانب إخوتهم الفلسطينيين، فقد شارك الفنان الفلسطيني الدكتور نسيم بعوده وصوته العذبان، بتقديم عدد من المواويل الفلسطينية، وأغنية (على دلعونه) و(بين ريتا وعيوني بندقية)، وكان تجاوب الجمهور العراقي كبيراً وتلقائياً، مع الفنان والمناضل الفلسطيني الدكتور نسيم. وقد إكتملت صورة التلاحم بين الشعبين والقضيتين العراقية والفلسطينية، بتقديم فرقة التراث الفلسطينية للرقص، لوحات رائعة من رقصها ودبكاتها الفلكلورية، فوق مسرح خيمة طريق الشعب، جاذبة عشرات المشاهدين، الذين شدهم الإيقاع الموسيقى وضربات ألأقدام، وهذه الحرفية العالية للراقصين.

فرقة التراث الفلسطينية

بس لا تطلع زبيرية

بعدها تولى الشباب العراقي القادم من بولونيا، وبمرافقة آخرين، تقديم مختلف الأغاني العراقية الشائعة، وحين وصل مشوارهم لأغاني (هيَّ وهاي وهيّه) و (أروح للملّه علي) لم يبق إلا أمثالي، من لم يختض، (حتى ولو موضعياً، وعلى الخفيف، كما فعل الدكتور هاشم نعمة! وأبو ميسون) أما أبو الفوز وأبو فرح، فكانا فوق المسرح، مع محمد الكيم وزوجته سلام، ومعهم إمرأة لا أعرف جنسيتها، إذ ربما كانت من جماعة البوليساريو، أو من ساحل العاج أو ربما من كواله لامبور! (بس لا تطلع زبيرية وأنخبز!؟).

دبكة بالشارع

في لحظات الهدوء النادرة داخل الخيمة، كنت أواصل الحوارات واللقاءات الثقافية والسياسية، مع العديد من الوجوه والشخصيات، متنوعة الإهتمامات والنشاطات، الشاعر صلاح الحمداني، الذي يسعدني لقاؤه في الخيمة كل عام، تُبهجني أخبار نشاطاته الإبداعية، ونتاجه الشعري المتواصل، وآخر ما أخبرني به هو إصداره لديوان مشترك، مع شاعر يهودي عراقي يعيش في إسرائيل، والديوان صدر بالعبرية والفرنسية،وكذلك دأب صلاح وحرصه وغيرته، على قضية الديمقراطية واليسار في العراق، أما الدكتور ذياب الطائي فمشاريعه البحثية المُنجزة، وتلك التي يفكر بإنجازها، تُسعد كل حريص على أن تزدهر المكتبة العراقية، بثمرة عقول علمية رصينة، والأستاذ إدريس محمد إدريس، يعيدني لثمانينات القرن الماضي، ولأصدقاء لنا مشتركين، كإبراهيم الحريري، ولصحيفة الغد الديمقراطي، التي كانت تصدر في سوريا.

النشاط تواصل حتى ساعة متأخرة من الليل، ولما كان الرفيق عدنان مستمراً على حاتمية كرمه، فقد تم نقلنا بسيارته، بنفس الطريقة السابقة، وكانت الأصوات والضجيج يتعاليان من داخل السيارة، مصحوباً بالضحك هذه المرة، إذ يبدو أن الركاب، إكتشفوا رواية النكات، كطريقة ناجعة، لتبديد حصرة المكان ولا معقوليته!

اليوم الثالث والأخير

بدأنا يومنا هذا بحادث مروع، فقرب المترو الذي يفترض أن نأخذه، ضربت سيارة، تسير بسرعة جنونية شابة فرنسية، فطارت أمام أعيننا لتسقط دون حركة، الإسعاف لم يصل إلا بعد حوالي ثلث ساعة، وكنا ونحن نتوجه للمترو نتساءل، هل يمكن، بعد هذه الضربة الشديدة، أن تعيش؟

باصات المهرجان المجانية، التي أخذناها من محطة (لابورجيه) أنزلتنا داخل حدود المهرجان، والدخول كان طبيعياً وسلساً، وكذلك الوصول لخيمة الحزب، الرفيق وداد يواصل، في جلسته التي بدأها قبل يومين، تشييش الكباب، أبو علي التميمي، شكا لي من البرد، وموسيقى الخيم المجاورة، والتي لا تهدأ طوال الليل، في خلفية الخيمة قلت للرفيقة أم فرح صباح الخير، فضحكت وقالت: قل لي صباح البصل! فقد كان إلى جوارها، عشرات من رؤوس البصل المنزوعة الجلد، تحضيراً لهرس قادم!

الرفيق أبو أسامة، المُساهم هذا العام، وفي سنوات سابقة في عمل الكباب، اراه يتطوع الأن، لمساعدة الرفيق ابو فرح في خلطة الفلافل، ماجد فيادي الثابت في مكانه لليوم الثالث على التوالي، مطمئناً أن زوجته وطفلته إلى جواره داخل الخيمة، منتهزاً القليل مما يسمى بالإستراحة، ليحاورني حول التيار الديمقراطي، والإجتماع القادم لممثليه في أوربا، والذي سيعقد في يوتوبوري السويدية، فأشجعه على أهمية الحضور والمشاركة، وتوحيد الخطاب الإعلامي، والتوصل لأفكار ورؤى متقاربة.

ألرفيقة أم باسل، تحدثني أيضاً عن التيار الديمقراطي، وعن عملهم في هولندا في هذا الميدان، وأحدثها عن تجربتنا في الدانمارك، الرفيق علاء الذي كان يتصور إنني لا أزال أعمل في التيار الديمقراطي في الدانمارك، أخبرته بأني عدت منذ أشهر للوطن، وجئت فقط من أجل اللومانتيه، وسأعود بعده للوطن، ولكن معرفتي بالعاملين في قيادة التيار الديمقراطي في الدانمارك، تجعلني اشعر بالإطمئنان، أنهم أكفاء وحريصون على إنجاح المشروع، خصوصاً وإن لا هيمنة ولا وصاية عليهم من أحد.

الرفيق أبو نيسان يواصل لقاءاته مع ممثلي الأحزاب العربية والعالمية، التي بدأها قبل يومين، يرافقه الرفيق طه رشيد، وحين يفرغان قليلاً، ننتهزها فرصة مشكلين فريقاً إعلامياً مع أبي الفوز وقتيبة الجنابي، باحثين عن وجبة غداء تسوَّه في خيمة أخرى.

موسيقى وأغاني عراقية تملأ جو الخيمة من أشرطة تسجيل، فيرقص محمد الكيم وبشار علخفيف، وعندما يحل عصر هذا اليوم، تعود الشابة أسيل مجدداً لتقدم وصلة غنائية جديدة أسعدت الجمهور وأطربته، بعدها عاد الفنان الفلسطيني نسيم ليقدم أغنيات فلسطينية تراثية بمرافقة المطربة الجزائرية، المقيمة في فرنسا (نادية ريان).

الشابان القادمان من هولندا (سيزار مهند و وصفي حلوائي) يحضران المهرجان لأول مرة، وقد لفتا إنتباهي بفرحهما الطافح، وبمساهمتهما بمختلف الأعمال داخل الخيمة، لذلك سألتهما عن إنطباعاتهما عن المهرجان؟ فأجاب سيزار: لقد إنبهرنا بسعة المهرجان وكثرة رواده، الذين يمثلون كل قارات العالم، وهنا نحن كأنما نزور كل دول العالم، أما هذه الأعلام الحمراء، التي تغطي واجهات الخيم والشوارع، فهي دليل على قوة اليسار.

الشاب وصفي أضاف لقول زميله : بالنسبة لخيمة طريق الشعب فقد كانت ناجحة، وبرنامجها الثقافي والفني متنوع ومتحرك، وكنت أود لو تم طبع البرنامج قبل بدء المهرجان، كما رأيت في خيم أخرى، ليتسنى للمتابعين الحضور والمساهمة، كما إن تنظيم أكشاك البيع وعبر البطاقات كان جيداً، ولكني ارى أن مساحة المسرح

كانت كبيرة فلم يتسن للراقصين إستغلال مساحة الخيمة. سيزار أكد على ملاحظة زميله، حول إتساع المسرح، وقال: كان يفترض طبع البرنامج بالفرنسية والإنكليزية بالإضافة للعربية، لجذب جاليات أخرى لنشاطات الخيمة .

وعندما سألت الشابين، عن وجود أكثر من جيل داخل الخيمة، وعن عمل الجميع طوعاً، قال سيزار: هناك إلتحام وإحترام بين الأجيال، وأكمل وصفي: الجيل الجديد يتعلم من القديم، وهذا يخلق إستمرارية وعدم إنقطاع، أما عن العمل الطوعي فأنا أجد نفسي مندفعاً للعمل وأنا فرح ومرتاح، ثم صاح : أنا فرحان ... أنا فرحان، وهذه أول مرة ولن تكون الأخيرة ! سيزار يكمل : روح التطوع أخذتها من العائلة، فحب الوطن والتضحية في سبيله هي أسس راسخة لدينا، لذلك نحن لا نفكر بالمال، مقابل هذه الأيام الجميلة والمُنتجة التي نقضيها هنا.

الرفيق عبد الأمير ضاحي فجر، الذي يحضر هو أيضاً المهرحان لأول مرة قال : إن المهرجان فرصة للتواصل بين الشيوعيين العراقيين وأصدقائهم في أوربا، ولنثبت للأخرين إننا حزب حي وفاعل وقادر على توضيح قضيته، لذلك كنت أتمنى أن أستمع لمحاضرة عن تأريخ الحزب ومواقفه، وأسباب الإنتكاسات التي يتعرض لها شعبنا، والحقيقة أني فرح بالشباب الموجود داخل الخيمة، فهم الصلة بيننا، والدليل على إننا لن ننتهي وسنتواصل، لقد إلتقيت داخل المهرجان بصديقين لم أرهما منذ السبعينات وهذا مبعث فرح لي، أتمنى أخيراً أن تشكل لجنة خاصة لإعداد برنامج الخيمة.

كما كان لي لقاء قصير مع الدكتور يعقوب الخميسي القادم من هولندا، والذي كانت له مساهمات هامة، في العزف مع معظم الذين قدموا نشاطات غنائية، وطوال أيام المهرجان، وعندما سألته عن إنطباعاته عن المهرجان الذي يحضره لأول مرة قال : لقد ساهمت في العديد من المهرجانات السياسية والثقافية، ولكني لم ارَ حشداً عالمياً كهذا، فالطيبة والإبتسامة تطفح على وجوه الجميع، بغض النظر عن الدين والقومية والإنتماء، أما في خيمتنا فأرى من يقفون 12 ساعة، دون التفكير بإستراحة أو أجر. أما عن الجيل الجديد فقال إن وجوده ضروري، كوجود الجيل القديم، وهم يحتاجون لإهتمام ووعي فكري وسياسي وتنظيمي. أما عن مقترحاته فقال الدكتور الخميسي : أن يوضع المسرح في زاوية الخيمة وليس في وسطها، وأن تستخدم بارتشنات لعرض الصور وليس جدران الخيمة، وأن تباع تشيرتات، تحمل إسم طريق الشعب داخل الخيمة، والتركيز في الفقرات الفنية على ما هو عراقي، وخصوصاً التراث، وأن تكون لجنة إعداد البرنامج من الجيلين الشباب وغير الشباب، وأخيراً فإن لدي ملاحظة هامة يجب ذكرها، وهي إنني لم ألحظ أي حملة لجمع التواقيع من قبل رفاقنا، في حين أن هناك الكثير من عمليات القمع والتضييق على الحريات وغيرها تجري في العراق، ويجب أن نكون نحن من اول المتصدين لها.

علاء مهدي

وقبل أن يختم المهرجان يومه الأخير، قدم الرفيق خالد الصالحي، ممثلاً عن منظمة الحزب الشيوعي العراقي في فرنسا، شهادات تقديرية مطبوعة ومصممة بشكل فني جميل، لثلاثة من أصدقاء الحزب المتميزين في عمل الخيمة هذا العام والأعوام السابقة وهم كل من (عبد المنعم التميمي و وداد البيضاوي و علاء مهدي) وكانت إنتباهة ذكية وموفقة ومبعث إرتياح الجميع.

بعد الإختتام الرسمي لنشاط الخيمة تجمع أبو لنا وأبو صابرين وابو فراس وغيرهم في إحدى زوايا الخيمة وراحوا يتناوبون الغناء العراقي، فمرة تسمع لحضيري أبو عزيز ومرة تسمع لسعدي الحلي وللمجموعة ولحسين نعمة وزهور حسين وغيرهم، وكنت ساعتها أخوض نقاشاً ثقافياً مثمراً، مع الدكتورة رابحة الناشي، حول السياب وكيف قدمته في مدينتها للفرنسيين، وحول مشاريعها الثقافية المشتركة مع منظمات ثقافية مدنية، للتعريف بثقافتنا وتراثنا، وإتفقنا على أن نتواصل الآراء والمعلومات.

في حدود الثامنة مساءاً كانت لحظات التوديع بين الرفاق أثقل اللحظات، وأكثرها الماً في نفوس الحاضرين، فالأيام الأربعة الماضية، رغم تعبها وإجهادها، لا يمكن أن تُنسى، وستظل تفاصيلها محفورة في ذاكرة المساهمين، تحية لمنظمة حزبنا في فرنسا، ولرفاقها الفدائيين الذين يضربون في كل مرة، المثل الأوضح في البذل والعطاء، تحية لجميع الرفيقات والرفاق الذين تمتعوا بنكران ذات نادر، وهم يقضون الساعات الطويلة في عمل مجهد وطوعي.